

وائل حلاق وإعادة قراءة فوكو في نظرية المؤلف وجدلية الخطاب والمعرفة والسلطة
**Wael Hallaq and Re-reading Foucault's Theory of the
Author and the Debate of Discourse, Knowledge and Power**

* ط/د كمال رمضاني¹، أ-د عبد المجيد عمراني²

Kamel ramdani¹, abdelmadjid amrani²

مخبر العولمة وحوار الحضارات، جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)

University of batna Hadj Lakhdar Algeria

kamel.ramdani@uni-batna .dz¹ fr.Amrani_abd@yahoo²

تاريخ النشر: 2021/09/02

تاريخ القبول: 2021/05/11

تاريخ الإرسال: 2020/11/06

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على النظرة النقدية التي يقدمها المفكر والناقد الأمريكي ذو الأصل العربي وائل حلاق للفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو، انطلاقاً من نقده لتوظيف ادوارد سعيد لفوكو في نظريته لبنية الخطاب الإستشراقي في كتابه "الإستشراق، المفاهيم الغربية للشرق". إن قراءة مؤلفات وائل حلاق تبين تأثره بمفاهيم ميشال فوكو، إلا أنه لا يُسايِرُه في كل تصوّراته حول نظرية المؤلف والعلاقة بين المعرفة والسلطة، حيث تبدو مكاناً الخلاف واضحة بينهما في العلاقة بين المعرفة والسلطة، وفي المقابل يوظف وائل حلاق نظرية فوكو حول المؤلف، إلا أنه يدخل عليها تعديلات خاصة ما يتعلق بأنواع المؤلفين.

الكلمات المفتاح: خطاب إستشراقي، وائل حلاق، ميشال فوكو، ادوارد سعيد، نظرية مؤلف، معرفة

وسلطة.

Abstract :

This study aims to identify the critical view presented by the American thinker (Arab origin)Wael Hallaq who criticized Michel Foucault. He based this on criticizing Edward Said's employment of Foucault's view of the structure of the Orientalist discourse in his book "Orientalism: Western Concepts of the East". Reading Wael Hallaq's books, we notice that he was influenced by Michel Foucault's concepts, but not in his perceptions about the relationship between knowledge and power and the author's theory. We can see the disagreement

* كمال رمضاني ramdanikamel2019@gmail.com

between them in the relationship between knowledge and power. On the other hand, WaelHallaq employs Foucault's theory about the author but he enters special modifications related to the types of authors.

Keywords: Orientalist discourse, Wael Hallaq, Michel Foucault, Edward Said, Author theory , Knowledge and power



مقدمة:

شكلت أطروحات ميشيل فوكو "1926-1984" (Michel Foucault) حول علاقة الخطاب بديناميات القوة وموقع المؤلف في التشكلات الخطابية، الحجر الأساس في نقد وائل حلاق لخطاب الاستشراق l'orientalisme في كتابه: «قصور الاستشراق - منهج في نقد العلم الحديث» 2018 والذي ضمنه ملاحظات محورية وجوهرية حول كتاب إدوارد سعيد.

إلا أن وائل حلاق "1955" (Wael Hallaq) لم يكتف بالتعامل مع أفكار فوكو الأساسية للرد على إدوارد سعيد (1935-2003) (Edward Said) - في نقده للاستشراق من خلال كتابه: «الاستشراق» 1978 الذي لا يزال موضع نقاش وسجال وبخاصة في منهجه ونتائجه الحاسمة ومعه كتابه المتمم: «الثقافة والإمبريالية» 1993- فقد حاول تأسيس مقاربة جديدة متمثلة في إعادة قراءة بعض أفكار فوكو حول نظرية المؤلف والعلاقة بين المعرفة والسلطة، على سبيل إعادة البناء والإضافة.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح إشكالية البحث: كيف طور حلاق التفكير في نظرية المؤلف؟ وكيف أعاد قراءة العلاقة بين السلطة والمعرفة من زاوية النقد الأخلاقي؟

اولا - نظرية المؤلف بين الأصل والتعديل

1- نظرية المؤلف عند ميشال فوكو

إن موقف فوكو من المؤلف، قريب من موقف "رولان بارت Roland Barthes" الذي أعلن عن الانفصال بين المؤلف والنص في مقالته "موت المؤلف The Death of the Author" عام 1967 وذلك بغرض نزع السلطة عن المؤلف والخط من مرتبة التقديس التي كان يحظى بها ولكنها لم تسلم من نقد "فوكو" في محاضرة ألقاها في الجمعية الفرنسية للفلسفة في بداية عام 1969 تحت عنوان "ما المؤلف what is an author" وليس "من هو المؤلف" حيث ركز فيها على دور المؤلف في النص وأطلق عليه وظيفة المؤلف .

ففي نظره «لا تبقى هذه الوظيفة على حالة واحدة، بل تتغير طبقا لتغير الممارسات الخطابية وطبقا لتغير علاقة النص مع النظم القانونية والأخلاقية التي تحدد بدورها خطابات المجتمع، لهذا تكون وظيفة المؤلف متغيرة عبر الزمن، وكأنها لا تنتسب إلى مؤلف وخطاب معينين»¹ ومن المسلم به أن «منهج فوكو لا يبحث عن سلطة المؤلف، وإنما على قوة الخطاب»² لذلك حاول في كتابه "الكلمات والأشياء" أن يحلل تشكيلات خطابية، دون العودة إلى مؤلفيها رغم استعماله لبعض الأسماء. وفكرة إنكار المؤلف عند فوكو، تعود إلى كونها تشكل "اللحظة القوية للفردنة في تاريخ الفكر والمعارف والآداب، وفي تاريخ الفلسفة وتاريخ العلوم»³

يدعو فوكو إلى دراسة الخطابات ليس من زاوية قيمتها التعبيرية، باعتبارها حديثا تواصليا، بل على أساس نمط وجودها، أي مدى تجذرها في شبكة العلاقات الاجتماعية، حيث يقول فوكو إن «الطريقة التي تفصل (الخطابات) بموجبها على أساس العلاقات الاجتماعية يمكن فهمها بطريقة أسهل... في نشاط المؤلف كوظيفة آلية وتعديلاته، وليس في الموضوعات أو المفاهيم التي يثيرها الخطاب»⁴

ولعلّ الهدف من طرح مقولة المؤلف-الوظيفة (Author-function)، هو تأكيد التحلي عن فكرة المؤلف، لأنّه يحدّ من سلطة الخطاب من خلال مبدأ الهوية. لقد أكد فوكو في "أركيولوجيا المعرفة" و"نظام الخطاب"، «أهمية التحليل انطلاقاً من التشكيلات الخطابية، من دون العودة إلى مؤلفيها. ومما لا شك فيه أنّ مقولتي (بارت وفوكو) تعكسان موقفاً من الذات (المؤلف) التي ارتبط بها الوعي التفسيري لعقود طويلة»⁵ من هذا المنطلق يطرح فوكو الفرق بين المؤلف الفرد أو الطبع والمؤلف الأيديولوجي أو الخطابي:

أ- المؤلف الطبع: ويطلق عليه فوكو المؤلف الميت، وهو الذي يخضع لنظام القوة ولتشكلاتها الخطابية دون أن يعي ذلك، وهو الصنف الذي ينتمي إليه غالبية المؤلفين.

ب- المؤلف الخطابي: وهو الذي يحدد الحدود العامة للتشكل الخطابي دون القدرة على التحكم في طريقة مسيرة الخطاب. ويوفر هذا المؤلف للنطاقات المركزية الأدوات الأيديولوجية التي تمكنها من تعريف نفسها وإضفاء شرعية عليها. وهذا الصنف يمثل كل من ماركس وفرويد.

2. نظرية المؤلف عند وائل حلاق :

إن نظرية المؤلف لفوكو تبدو معقولة في السياق النقدي العام، وتعد احد مرجعيات وائل حلاق اذ اقترح حلاق النظر للواقع الإنساني بوصفه مكوناً من بنى تحكمها "نماذج معرفية"، تمايز بدورها بين نماذج/نطاقات مركزية وأخرى هامشية، تدلنا العلاقات بينهما على موقع المؤلف داخل أحد النطاقات، وتزودنا بأسلوب منطقي يمكن من خلاله المقارنة بين مستشرق وآخر.

و.معنى آخر فان نظرية النماذج تساعدنا على تحديد موقع المؤلف في المنظومة الخطابية الأوسع وموقع هذه المنظومة في إطار أنظمة القوة الأشمل. «تخدمنا نظرية النماذج والنطاقات المركزية بأكثر من طريقة إذ إنها تؤطر أولاً النقاش حول موقع المؤلف داخل علاقات القوة ثم تفسر جدلية المعرفة والقوة التي هي عماد أفكار كل من فوكو وسعيد»⁶

غير أننا لا ننكر إنها نظرية مرحلية شأنها شأن كل النظريات التي تم دحضها أو معارضتها أو إدخال اضافة عليها، وهو ما فعله وائل حلاق فهو لم يكتف بعرض نظرية المؤلف عند فوكو وإنما قدم تصنيفين آخرين -للتمييز بين المستشرقين بشكل أكثر وضوحاً منتقدا تعميم ادوارد سعيد في ما يتعلق بالاستشراق والمستشرقين، مؤكداً على إمكانية ظهور مؤلف يقوض الأسس المعرفية للحضارة الغربية مثل الفرنسي رينيه غينون (René guénon) الذي انتقد المعرفة الغربية التي أنتجت الاستشراق- وهما:

أ-المؤلف المعارض: هو الذي يرفض الافتراضات والنتائج والآراء الموروثة المميزة للطبع، فهو ينقد المؤلفين الآخرين ولكن من داخل التشكل الخطابي الذي يعمل به المؤلف، فهو لا يسائل أصول البنى المعرفية التي تحدد النظرة الكونية، بل يبقها في مكانها ويقبل بها كما هي.

أما ما يتم فحصه ونقده فهو النمط الذي يعمل في إطاره النظام وهو ما يعتبر تصحيحاً للنظام من داخله مما يجعله أقوى وأكثر مرونة وحيوية «إن المؤلف المعارض لا يقتصر على القيام بوظيفة المعارض الوفي بل يعمل على تغيير النظام من الداخل، ما يجعله أقوى وأكثر مرونة وحيوية»⁷

وهو الصنف الذي ينتمي إليه سعيد، الذي يعارض من داخل الحداثة مع استخدام مقولاتها، أما نقده فيصعب على آليات اشتغالها ببيان عيوبها وأخطائها لتعمل على تصحيح نفسها مما يزيدها قوة . ويتضح ذلك في تناول سعيد لمشكلة الإنسانيات داخل الحقل الاستشراقي، حيث أدى ذلك إلى «تخريج جيل جديد من الباحثين المدربين على تحسين مناهج دراسة الشرق ليصبح محتوى هذه

الدراسات أكثر ضبطاً، إلا أن سعيد اعتقد صوابية دعائم ذلك النظام، ولم يضعها موضع تساؤل»⁸، ومن هنا فتتبع حلاق النقدي لسعيد يعيده إلى جذور الهيمنة الفكرية الأولى التي لم يستطع سعيد الاستقلال عنها، بسبب ارتكابه العميق للحادثة الغربية.

كما يعطي وائل حلاق مثلاً آخر على المؤلف المعارض من واقع التاريخ "فعالم الاقتصاد الكبير جون مينارد كيتز "john maynard keynes" كان كاتباً معترضاً، فقد فند الكثير من النظريات السابقة، وأثر بشكل كبير على أجيال من الاقتصاديين ولكنه لم ينتقد «الأسس النظرية للرأسمالية، ولا صحتها، أو المبادئ الكبيرة لممارستها في العالم"، بل ساهم في تحقيق قوة النظام الرأسمالي»⁹.

ب- المؤلف الهدام : هو الذي يسائل الدعائم المعرفية ونظام القوة الذي يدعم التشكل الخطابي وذلك من أجل تغيير أسس النظام وخلق نظام جديد مختلف بالكامل،، حيث اعتقد حلاق بظهور بعض المؤلفين الهدامين للخطاب،الذين بإمكانهم إحداث ثغرة في جسم هذا الخطاب المهيمن، لتتوسع بزيادة عدد المنتقدين له، والعمل على إنتاج منظومة خطابية جديدة. «يمكن للاستشراق أن يزودنا - من داخل نطاقه نفسه - بخطاب ناقد بنيوي للكلونيالية والاستشراق، وهو نقد أكثر عمقا وفائدة من نقد سعيد إذ يستمد قوته من وصوله إلى قلب النطاق المركزي domaine central»¹⁰.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة الهدام هنا تأتي بالمعنى الإيجابي الذي يعتمد استقلالية المؤلف الفلسفي، عن النطاق المهيمن. وبالتالي يتحول نقده إلى بنية تأسيسية تخرج من حالة العمى التي تسيطر على الباحث الغربي،، فتفتح عنده قراءات جديدة، أصبح وأقرب دقة إلى فهم رحلة الكون. وهذا ما نجدها عند والمستشرق الفرنسي رينيه غينون (René Guénon) الذي قدم نقدا جذريا للمنظومة المعرفية الحداثية ومن ضمنها الخطاب الاستشراقي، إذ يرى غينون أن الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة التي خلقت نوعا من العلم، لا يسعى إلا إلى المصلحة المادية، وتكديس الثروة وتطوير الأدائية، ولذا يقول غينون « إن الجهل المطبق هو ما جعل الغربيين معادين للحضارات الشرقية ومبادئها»¹¹

ويتهم الفلسفة الغربية الحديثة، بوضع حدود تعسفية والاهتمام بأمور دقيقة غير ذات قيمة، حيث حاول استجلاء مكامن الأزمة التي أصابت الحضارة الغربية، وقيمتها الحداثوية، والمتمثلة في

«هيمنة الكم على کیف»، و«هيمنة الفردانية والإنسانية»، و«هيمنة المعرفة ذات الطراز البشري وتنكيس المعرفة الفوق-بشرية»، و«هيمنة التماثلية وإنكار التراتبية» .

ويرى غينون وحلاق أن هذا الشذوذ هو سمة عامة استمت بها المعرفة الغربية، وهي التي تعبر عن عمق القيم الحداثية الغربية التي تعتبر أصلا لفرع الاستشراق، ومعها الليبرالية والعلمانية والمادية ويهدف مشروع غينون إلى تدمير النطاق المركزي للحدث الغربية وإعادة تشكيله من جديد وإلا فإن المشكلات لن تحل في النطاقات الهامشية كمشكلة الاستشراق. ونستنتج من هنا ان المؤلف الهدام هو مؤلف مناهض وهو ضروري في هذا الزمن، وهو مؤلف لا يُناهض لأجل المناهضة، وإنما من أجل وعي خلل المسارات التي سبقتها، ثم بناء رؤيته الكونية التي تقتضي منه بعدها أن يكون المؤلف الخلاق.

ثانيا. إشكالية العلاقة بين المعرفة والسلطة

قبل الشروع في مسألة الخلاف بين وائل حلاق وميشال فوكو، لابد ان نرصد بنوع من الإيجاز أطروحة ميشيل فوكو حول العلاقة بين السلطة والمعرفة .

1. اركيولوجيا السلطة والمعرفة عند ميشال فوكو:

قدم ميشال فوكو سلسلة من المحاضرات القيمة في " الكوليج دو فرانس " Collège de France " ساهم من خلالها في إغناء النقاش بصدد مجموعة من القضايا المهمة والإشكاليات الملحة التي أصبحت تطرح في فضاء التحليل والنقاش الفلسفي على المستوى الأوروبي والعالمي استجابة للظروف التي يمر بها المجتمع المعاصر الذي أصبح يتخبط في العديد من المشاكل فرضت ضرورة الكشف عن الخلل الذي يعيشه انطلاقا من القيام بعملية تشخيص للحاضر وللواقع ؛ ومن بين هذه القضايا العلاقة بين السلطة والمعرفة.

لقد أقام ميشال فوكو مشروعه عن المعرفة والسلطة على العديد من التساؤلات لعل أهمها البحث في ماهية السلطة والكيفية التي تمارسها، ومن يمارسها وأين، ما هي مظهراتها في الواقع... الخ وصل إلى أن « السلطة إجمالا قائمة في كل خطاب نقوم به حتى لو كان يصدر من موقع خارج السلطة، فهي منغمسة في التاريخ متجذرة في أعماقه ... بل ربما أن التاريخ ليس إلا السلطة ذاتها وقد تحولت بفعل التطور إلى خطاب يدعي العلمية والبراءة»¹²

يعتقد فوكو ان السلطة هي الأساس الذي ينتج المعرفة، وليس العكس « السلطة والمعرفة تقتضي أحدهما الأخرى، وانه لا توجد علاقة سلطة بدون تأسيس مناسب لحقل معرفة " ¹³ أي أنه يخالف الفكرة التي سادت والتي مفادها أن السلطة وليدة المعرفة من خلال الايدولوجيا التي تولدها وتقوم على هندسة أفكارها. وإنما يتجه اتجاهها جديداً آخر وهو أن السلطة هي التي تنتج المعرفة» ¹⁴

لا يرى فوكو السلطة بوصفها فرضاً للمعتقدات باستخدام قوة خارجية، كما تفرض الدولة (علمها) الخاص مثلاً، فالسلطة تلجأ دائماً لصنع معارف على قياسها وبما يخدم مصالحها، فثمة تجلٍ للسلطة في مستويات المجتمع كافة؛ من الظواهر السياسية الكبرى مثل صياغة الدستور، نزولاً حتى العلاقات الشخصية بين الأفراد، مثل العلاقة بين الأب وأبنائه أو بين الطبيب والمريض يقول فوكو: « يجب أن نقبل ان السلطة تنتج المعرفة وأن المعرفة والسلطة تقتضي كل منهما الأخرى مباشرة فلا علاقة سلطوية دون أن يتشكل حقل معرفي بالارتباط معها كما لا توجد معرفة لا تفترض وتكون في آن واحد علاقات سلطة» ¹⁵.

يجمع فوكو بين المعرفة والسلطة دون خلق حالة مساواة بينهما وإن كانت المعرفة تمتلك سلطة فهي ليست سلطة، وإن كانت السلطة تنتج معرفة، فهي ليست معرفة. إن ثنائية المعرفة والسلطة تعبر عند فوكو عن تبادل الأدوار بينهما.

فالسلطة (أو القوة) عند فوكو متغلغلة في كل شيء. فهي في كل مكان، بل إنها متغلغلة حتى في علاقة المرء بنفسه.

ففي كتاب المعرفة/ السلطة، يقول: «الفرد في هويته وشخصيته هو نتاج لعلاقات السلطة التي تمارس عملها على جسده وتنوعه وحركاته ورغباته» ¹⁶

2. المعرفة والسلطة عند حلاق

يفند وائل حلاق تعميم فوكو لفكرته القائلة بوجود علاقة بين المعرفة والسلطة، اذ كيف نفسر حسب حلاق عدم وجود رابطة بين المعرفة والسلطة إلا في الحضارة الغربية أو ما يخص الاستشراق الأوروبي فقط «فقد نتساءل عن سبب عدم إنتاج المعرفة والقوة - هذا الرباط شديد التشابك والتعقيد- في أي مكان وزمان آخرين» ¹⁷

وان الدول العظمى تاريخياً، مثل الصين والهند، أو الدولة الإسلامية التي ورغم امتداد حكمها إلى مساحات شاسعة من العالم مشكلة إمبراطورية عظمى، لم تنتج خطاباً مماثلاً للاستشراق، مما يجعل الاستشراق كإفراز طبيعي للظاهرة الحداثيّة. لذا يقول حلاق « يهدف تناولي لدراسة هذه الحالة – إذا – إلى البرهنة على فريدة أوروبا التي أنتجت الاستشراق واستثنائيتها ».¹⁸

فالحضارة الإسلامية، لم تفرز شيئاً مشابهاً للاستشراق وهي في حال قوتها، ولم تفعل أي حضارة أخرى باستثناء أوروبا. فعلى الرغم من التنوع الشديد في الثقافات الإسلامية الإثنية والسكانية والجغرافية والمادية والاقتصادية فإن ثمة نطاقات فرعية تعبر عن هذا التنوع، يترجمها الاشتراك في الأنشطة التعليمية، والمؤسسات الاجتماعية ويغيب فيها الصراع والهيمنة « فلقد مثلت الشريعة قانوناً أخلاقياً وتشكلت من خلاله في الوقت ذاته، إذ استندت مكانتها النموذجية على كونها نظاماً أخلاقياً، بل وأداة خاضعة لمنظومة أخلاقية شاملة ومتداخلة معها ».¹⁹

إن الحضارة الإسلامية انطلاقاً من كونها حضارة نطاقها المركزي أو نموذجها المعرفي قائم على أخلاقيات معينة، « كان هناك فصل بين المعرفة والسلطة السياسية وهذا بخلاف الحضارة الغربية في الأزمنة الحديثة التي أصبحت فيها المعرفة بدون نزعة أخلاقية بل أضحت في صراع وسيطرة ».²⁰ ثم إن تفسير عدم وجود علاقة بين المعرفة والسلطة في تاريخ الحكم الإسلامي، يرجع إلى عدة اعتبارات من بينها « أن المعرفة ومؤسساتها كان يتم تمويلها من أموال الوقف، مما يجعل مستغليها أكثر تحرراً من التوجيهات السلطانية ».²¹

وهنا أبرز وائل حلاق أصل فلسفة الوقف الإسلامي في خلق مجتمع مدني مستقل وتحقيق منظومة عدالة اجتماعية، والمساحة التي يشكلها كقاعدة استقلال مادي وإداري، وهي توضع في سياق تأمين المجتمع المدني، ومنع السلطة من التغول عليه.

كما أظهرت الدراسة المتعلقة بالنموذج الإسلامي القائم على مبادئ أخلاقية عدم وجود أي علاقة بينه وبين السياسة لكونه يتناقض جوهرياً مع توظيف القوة « أظهرت دراسة الحالة الإسلامية – حتى الآن – أنه لا يمكن لنظام تربوي فكري يتكون من جوهر أخلاقي ويتأسس على مبادئ أخلاقية أن يكون مفيداً للسياسة... ».²²

ولتوضيح ذلك يضرب وائل حلاق مثال حول فريضة الجهاد كمعرفة قانونية والتي لم تساهم في نشوء القوة التي تحدث عنها فوكو لان الجهاد يفرض فقط حينما تتعرض دار الإسلام للخطر وعلى

سكان المنطقة التي تتعرض للخطر وليس على كل المسلمين، كما اقتضت القوة في سياق مفهوم الجهاد على القوة العسكرية ولم يساهم مبدأ الجهاد في نشوء القوة أو ظهور الفرد المواطن الطيع الخاضع لهيمنة القوة بالمفهوم الفوكوي²³، ان هذا المثال يجعلنا نستنتج أن نظرية فوكو لا تنطبق على جميع الثقافات أو الأوقات أو الأماكن.

وفي هذا الصدد يتساءل الأمريكي "أوميد صافي" *OmidSafi* المتخصص في الفكر الإسلامي المعاصر عما إذا كان «يجوز للمرء أن يتساءل عن قدرة نظريات (فوكو) على ان تطبق بنجاح على الحضارات غير الأوروبية أو الحضارات قبل الحديثة على وجه الخصوص... يمكن للمرء أن يستطلع ما إذا كانت أنظمة المراقبة تلك سمة متفردة من سمات الحداثة ام انها ممكنة الحدوث فقط في سياق أوروبي بعد عصر التنوير»²⁴.

ثم إن العالم الإسلامي «لم يعرف مفهوم السيادة السياسية الحداثي قبل المواجهة مع الكولونيالية الأوروبية الحديثة، حيث كانت شريعة الإسلام هي المحدد لمعنى السيادة، وكانت الشريعة عصبية على المناورات السياسية، ولم تخضع للسلطة»²⁵، وكان هذا نتاج جهد فقهاء خرجوا من المجتمع نفسه والتحقوا بدراسة الشريعة بناء على رغبتهم العلمية.

فلم تكن هناك سلطة واحدة تحدد مضمون الشريعة، وإنما فعلت الشريعة على كل المؤسسات الإنسانية. «لقد كان القانون الأخلاقي - الذي هو ظاهرة عقائدية وقانونية اجتماعية ممتدة زمانيا ومكانيا - خارج سيطرة السياسة، ما حرم أي سلطة - بما فيها السلطة التنفيذية - من التمتع بالسيادة وممارستها»²⁶.

ولتوضيح العلاقة المتشابكة بين المعرفة والسلطة في الدول الغربية الحديثة يرى حلاق أن هناك

سببين رئيسيين وهما :

● نشأة الدولة الحديثة التي طورت أنماطاً من الحكم وجدت في أشكال بدائية تحت أنظمة سلطوية ملكية وتحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية .

وكان الباحثون والأكاديميون في الحضارة الأوروبية خاضعين لإرادة الدولة السيادية، حيث ظهرت الجامعة والأكاديميا باعتبارها مؤسسات تابعة للدولة، فلوائحها التنظيمية الداخلية تخضع لقانون الدولة كما أنها تمول من جانب الدولة، وهو ما جعلها ترتبط بشروط سياسية تلتزم بوضعية الدولة،

وتفكر في العالم من خلال الدولة وتساهم في إدارة الدولة من خلال ما تنتجه من أبحاث. فقد « أصبح تعذيب السجناء السياسيين أمرا تقدم له مهنة الطب وظيفته الدعم بصورة روتينية »²⁷

• مبدأ السيطرة على الطبيعة، القائم على التمييز بين ماهو كائن وما ينبغي أن يكون والفصل بين الواقع والقيمة، وبين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون. أي إن « البذور الأولى للسيطرة على الطبيعة موجودة في الاعتقاد المسيحي الأوروبي، ثم طورها الفلاسفة اللاهوتيون أمثال ديكارت واكمل صورتها العلمانيون في عصر التنوير. »²⁸

فالسيطرة على الطبيعة كانت عملية ممنهجة للانتقال إلى السيطرة على الإنسان « ازعم هنا أن السيطرة على الطبيعة لم تكن مجرد حدث، بل كانت بنية فكر وعلمية منهجية، أو توجهها جعل السيطرة حياة وأساس النظر إلى الكون »²⁹

ثم انتقل بعدها مبدأ السيطرة على الطبيعة إلى السيطرة على الإنسان. وأصبح النظام المعرفي الغربي في خدمة القوة والتوجه والسيطرة .

خاتمة :

تواجه المراجعة النقدية العميقة للحضارة الغربية تحديا كبيرا اليوم ووائل حلاق من بين الذين يحملون رؤية تفكيك نقدي لمآلات الفلسفة الغربية، وهذه الرؤية النقدية جمعت حصيلة كبرى عن خلاصات الفلاسفة والباحثين الغربيين ثم نقدها. مما يجعلنا أمام حركة استقلال جديدة لميادين البحث الفلسفي والتي ما يزال امامها صعوبات للوصول إلى رؤية كونية بعيدا عن الارتكان بشخصيات الفلسفة الغربية وتقديسها .

فبالرغم من استعمال وائل حلاق لبعض مصطلحات ومناهج الفلسفة الغربية، فقد سعى إلى التمييز عن الخطاب الفلسفي الغربي وخاصة عن فلسفة ميشال فوكو وذلك من خلال تأكيده على اختلاف الواقع العربي الإسلامي عن الواقع الغربي والخصوصية الثقافية التي تتميز المجتمعات الإسلامية عن غيرها.

صحيح يمكننا القول إجمالا مع فوكو ان السلطة دائما توظف المعرفة لمصلحتها وان الثقافة السائدة والمسيطرة هي ثقافة الطبقة الحاكمة والغالبة والمسيطرة دائما، ولكن هذا لا يعني بالضرورة إن السلطة وحدها هي الحافز على إنتاج المعرفة. وان المعرفة مجرد خادم مطيع للسلطة، ونفي أي

استقلالية ذاتية عنها. وهنا نقع في خطر التشكيك بإمكانية وجود المعرفة من أساسها وبالتالي وجود الحقيقة في مجال العلم.

يحيلنا هذا الطرح إلى القول بأن وائل حلاق ورغم استعانتة بأركيولوجيا الخطاب عند فوكو لتوضيح العلاقة بين النطاق المركزي والنطاق الثانوي، إلا أنه يأخذ على فوكو تركيزه على السلطة بوصفها منتجا وحيدا للمعرفة في النطاقات المركزية والثانوية معا وتغيبه للذات الإنسانية الفاعلة بوصفها منتجا للمعرفة.

وبناء عليه يمكننا التوصل إلى مجموعة من النتائج :

- إن إشكالية السلطة والمعرفة هي وليدة الحداثة في المجتمعات الإسلامية، وهذه الأخيرة لم تعرف هذه الإشكالات قبل دخولها غمار الحداثة. فلم تكن مكانة السلطان بين العامة رغم ما يمتلكه من قوة وأدوات الترهيب ومن مال ووسائل الترغيب، بأكبر من مكانة العالم؛ الذي لا يمتلك من أدوات الترغيب والترهيب سوى الصدع بالحق.

- ربط وائل حلاق بين المؤلف والخطاب والبرادغم المعرفي إذ يتشكل المؤلف داخل هذا النطاق وتكون إنتاجاته ضمن النموذج المعرفي " paradigm " وليس خارجه.

- إن الحداثة قائمة على الاستبداد السياسي والاقتصادي والتدمير، كونها تتبنى منظورات وآليات تناقض البنية الأخلاقية.

- لقد أضاف وائل حلاق للدراسات الإنسانية إضافات معتبرة جديدة بالتنويه، فقد كسر سلطة البداهة والتسليم بحقائق كثيرة، ودعا إلى مراجعتها وفتح أبواب النقد وترسيخ مقاربة عربية إسلامية تتجاوز المقاربة الغربية.

وفي هذا الصدد يتحدث محمد عابد الجابري عما يسميه بإشكالية "تبينة المفاهيم" فليست كل المفاهيم المنقولة عن الغرب ضرورية ومفيدة.

هوامش:

¹ - Michel Foucault, « Qu'est-ce qu'un auteur ? », Ed. Gallimard, Paris, 1969, p. 162.

- ²-عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1992، ص141.
- ³- ميشال فوكو، ما المؤلف؟- تر: فريق الترجمة بمجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء العربي بيروت، لبنان، العددان 6-7، 1980، ص116.
- ⁴- وائل حلاق، قصور الاستشراق منهج في نقد العلم/الحداثي، الشبكة العربية للأبحاث، المغرب، 2019، ص 88.
- ⁵- نادر انطونيوس، لامركزية الخطاب: الذات بين المعرفة والسلطة، موقع خطوة للتوثيق والدراسات، تاريخ الاسترداد: 28-10-2020، <https://mana.net/10048>
- ⁶- وائل حلاق، قصور الاستشراق منهج في نقد العلم/الحداثي، الشبكة العربية للأبحاث، المغرب 2019، ص 82.
- ⁷- المرجع نفسه، ص 265.
- ⁸- المرجع نفسه، ص 266.
- ⁹- المرجع نفسه، ص 266.
- ¹⁰- المرجع نفسه، ص 223.
- ¹¹- روني غينون، الشرق والغرب، تر: اسامة شفيق السيد، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة 2018، ص 124.
- ¹²- عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 1994، ص 13.
- ¹³- ميشال فوكو، المراقبة والمعاقبة، تر: علي المقلد، مركز الانماء القومي، بيروت، لبنان 1990، ص 65.
- ¹⁴- اسماعيل نقاز، جدلية المعرفي والسياسي عند ميشال فوكو، مجلة دراسات فلسفية، الجزائر، العدد 06، 2016، ص 64.
- ¹⁵- السيد ولد اباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2004، ص 186.
- ¹⁶- Foucault Michel, L'archéologie du savoir., Ed. Gallimard, Paris, (1969), p 74
- ¹⁷- وائل حلاق، مرجع سابق، ص 124
- ¹⁸- وائل حلاق، مرجع سابق، ص 125
- ¹⁹- وائل حلاق، مرجع سابق، ص 132
- ²⁰-عبد الحليم مهور باشة، قراءة في كتاب قصور الاستشراق لوائل حلاق، البصائر، الجزائر، العدد 947، 2019، ص10
- ²¹- المرجع نفسه، نفس الصفحة.
- ²²- وائل حلاق، مرجع سابق، ص 142
- ²³- وائل حلاق، مرجع سابق، ص 143

- ²⁴ - وائل حلاق، مرجع سابق، ص 144
²⁵ - وائل حلاق، مرجع سابق، ص 185
²⁶ - وائل حلاق، مرجع سابق، ص 186
²⁷ - وائل حلاق، مرجع سابق، ص 172
²⁸ - عبد الحليم مهور باشة، مرجع سابق، ص 10
²⁹ - وائل حلاق، مرجع سابق، ص 150